كتاب

الاجتهاد في طلب الجهاد

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

١٤ شارع جواد حسني القاهرة ت : ٣٩٣٤٦٠٥ - ٣٩٩٢٦١٥

obeikandl.com

كتاب

الاجتهاد في طلب الجهاد

للحافظ ابن كثير

تقديم وتحقيق

الدكتور محمد زينهم

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

شهدت العصور الوسطي حركة من أخطر الحركات في تاريخ الإنسانية لما نتج عنها من نتائج في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وأقصد بهذا الصراع الطاحن الطويل ، الذي استغرق مدة طويلة بين الشرق والغرب ، والذي يطلق عليها المؤرخون والكتاب بالحروب الصليبية ، والتي بدأت منذ عام (١٠٩٧ م) . وكانت الفكرة السائدة عند المسيحيين هي تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين وتهيئة جو مسيحي خالص للحجاج النصاري ؛ يُؤَمِّنَهم في أدائهم فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين ، التي تنطوي علي ذكريات عزيزة غالية علي نفوس جميع المسيحيين ، رغم تباين أجناسهم وأوطانهم وألسنتهم ومذاهبهم .

وإذا نظرنا لبداية قصة الحروب الصليبية ، فهذا يرجع للخطبة العنيفة التي ختم بها البابا إربان الثاني (١٠٨٨م- ١٠٩٩م) اجتماعات مؤتمر كلير مونت ، في ٢٨ نوفمبر (١٠٩٥ م) ، في حين بداية الصراع بين الإسلام وأتباع المسيحية بدأت مع القرن السابع الميلادي ، حين ظهر الإسلام وبسط سيطرته السياسية والدينية علي كثير مما كان بيد دولة الروم الشرقية من الأقطار والولايات المطلة علي البحر الأبيض المتوسط ، في كل من غربي آسيا وشمالي أفريقيا .

فيقول المستشرق الأجنبي (روم لاندو) عن الحروب الصليبية وهجومه علي الإسلام والمسلمين :

إذا أعتبرت القرون الوسطي عصر إيمان وحرب فالحروب الصليبية هي أكمل تعبير عنها وأشنعه ، والذي لا ريب فيه أن العقل الأوربي الوسيطي medieval قد اعتبر الحروب الصليبية حروباً مقدسة من أجل قضية مقدسة ؛ ففي الإسلام لم يُعْلن أي (جهاد) عام ضد الصليبيين ، ولم يوجه الخليفة ، بوصفة رأس الحياة الدنيوية ، دفة هذه الحروب . أما في الغرب فقد فني البابا ، بوصفه رئيساً روحياً ، في تلك القضية واعتبرها قضيته الذاتية . والواقع أن الحروب الصليبية ، كحركة دينية ، كشفت ـ عن طريق التعصب والتطرف الدينيين ـــ عن أسوأ مظاهر النصرانية الوسيطية كلها . لقد نجحت الحروب المقدسة في خلق شِقْه واسعة تفصل ما بين الشرق والغرب بدلاً من أن تعيد تدعيم الجسر الرابط ما بين ثقافتين تجمع ما بينهما في نهاية المطاف مفاهيم إيمانية مشتركة ، ومصالح ثقافية تمتنع علي الإحصاء . وإذ عجز النصاري عن تشكيل جبهة متحدة في وجه الخطر الحقيقي الوافد من الشرق المغولي فإنهم بحملاتهم الصليبية لم يُوَفِّقُوا إلي أكثر من قسمة العالم إلي معسكرين متعاديين . وهذه القسمة الفاجعة لا تزال قائمة حتي يوم الناس هذا ، فهي تحول دون حدوث إمتزاج ثقافي وسياسي سليم بين الحضارتين الغربية والعربية .

إن حساً من الاتحاد في الغرب قد استمد في المقام الأول ، من العمل المشترك ضد الشرق الأدني والهجوم المبْترك عليه . لقد كانت أوروبا في حاجة إلي الفرار من وجه الفقر والمرض ، ولقد استهل النورمان والفرنج [الفرنك] حركة الهجرة من الغرب إلي الشرق بحثاً عن أراضي أكثر خصباً وغنيً . وهكذا نشأ المفهوم المسيحي للوحدة الغربية من موقف لو اتخذ في العصر الحديث إذن لدعي موقفاً إستعماريا . لقد عمل الدافع الديني جنباً إلي جنب مع الدافع الاقتصادي . ولقد قادا ، متعاونين ، إلي إنشاء حركة استعمارية استبدادية تُعتبر هي المسؤولة عن جانب كبير من المكانة التي أحرزتها أوروبا في القرن التاسع عشر .

صحيح أن الحركة الصليبية أنعشت التجارة بين الشرق والغرب ، ولكن ازدهار التجارة كان خليقاً به أن يتم بمعزلٍ عنها أيضا . وإذ واجه الصليبيون حضارة أرقي من حضارتهم ، من الناحيتين المادية والثقافية ، إلي مالا نهاية ، فقد حملوا معهم إلي أوروبا منتجات من مثل السكر ، والمنسوجات الحريرية ،

والبخور ، والأفاويه ، والأصباغ ، ومبدأ سك العملة الذهبية ، وأساليب الصيرفة وصناعة البنوك ، وفي فن العمارة العسكري أفاد الشرق والغرب معاً من تلاقي الفكرات وتبادلها .

وعلي الجملة فإن العرب لم يفيدوا من احتكاكهم بالصليبيين إلا قليلاً . كان كل ما ألْفوهُ عند هؤلاء الصليبيين لا يعدو الجشع والتعصب وافتتاناً بالحرب والتدمير . وحتي يومنا هذا لا تزال صورة الرجل الغربي ، في أذهان العرب ، مشوبة بالانطباعات السيئة التي تركها الصليبيون في الذهن العربي .

لقد التفت نصاري الغرب نحو الشرق وكأنما يجذبهم إليه حجر مغناطيس . فمنذ أقدم العصور والشرق ينتج أسباب النعمة ومتارف الحياة . وإذْ كانت النصرانية في باديء أمرها ديناً شرقياً فقد اعترفت بالشرق مركزاً للجاذبية الدينية أيضاً . فمنذ القرن الثالث والنصاري يقصدون بيت لحم حيث ولد المسيح ، وجبل الزيتون وحديقة الجثمانية لأداء الصلاة فيها وللفوز ببعض المكافآت الروحية . والقديس جيروم نفسه أقام في فلسطين حيث تحلق حوله جماعة من المؤمنين . والواقع أن الكثرة الكبيرة من القديسين والشهداء والنصاري كانوا شرقيين ؛ ومع الأيام نزع النصاري نزوعاً طبيعياً إلي تعظيم هؤلاء الرجال وتكريمهم بالحج إلي المواطن التي كانت مسرح نشاطهم .

وماهى إلا فترة حتى نشأ الإيمان بفضيلة المخلفات المقدسة . وبسبب من أن أكثر هذه المخلفات قداسة ، وهى مخلفات المسيح ، ظلت في الشرق ، أولاً في بيت المقدس وبعد ذلك في القسطنطينية ، فقد تعين على الحجاج أن يقوموا بالرحلة من أقاصي الغرب في كثير من الأحيان ، لكي يعبدوا الله في الموطن الذي آمنوا أن (الرب) طهر فيه الأرض من الخطيئة . فإذا كان الحاج مجدوداً حَسَن الطالع فقد ينقلب إلي وطنه حاملاً مخلفاً صغيراً ــ ذكري مقدسة . وفي بعض الأحيان كانت تؤلف بعثة كاملة للفوز بمثل هذا الكنز . فقد وفق أبناء لانغر **Langres** إلي الاحتفاظ بإحدي أصابع القديس ماماس **Mamas** . ورجعت إحدي سيدات موريين **Maurienne** حاملةً إبهام يوحنا المعمدان . ولقد كان في إمكان أبناء وطنها الذين أُلهموا أداء الحج أن يروا ، لو قصدوا إلي هذين الموطنين ، جثمان القديس يوحنا هذا في السامرة ، ورأسه في دمشق . ولم يكد القرن الرابع ينقضي حتي كان

قد أمسي في بيت المقدس عددٌ ضخم من الأماكن المقدسة بحيث تعذر علي الحاج زيارتها كلها في يوم واحد(١)

وكان غزو الفرس لفلسطين ، عام (٦١٤م) ، صدمة للعالم النصراني . فقد وفق الفرس ، يساعدهم السكان اليهود ، إلي احتلال المدينة ، ومن ثم أرسلوا الصليب المقدس والأدوات التي عُذب المسيح هدية إلي ملكة فارس النصرانية . وفي عام (٦٢٢م) غادر هرقل ، بعد احتفالات دينية خاشعة ، مدينة القسطنطينية ليشن الحرب علي الكفار ، وكانت الحملة مظفرة ، واستردت القدس من أيدي الفرس ، وأعيد الصليب الحقيقي إلي المدينة ، فعمت البهجة قلوب المسيحيين جميعاً . وأمر هرقل ، غير ناسٍ خيانة اليهود ، بأن يصار إلي تعميدهم [تنصيرهم] علي نحو إلزامي في جميع أجزاء الإمبراطورية ، فكان من نتائج ذلك أن وجد متعصبو النصاري عذراً يبرر قيامهم بمذبحة علنية ضد العرق البغيض . ومن حيث التسلسل التاريخي ، كانت هذه الحرب المقدسة ضد الكفار حرباً صليبية سبقت (صليبية) البابا أوربانوس في القرن الحادي عشر .

لم تكد تنقضي علي وفاة الرسول خمس سنوات ليس غير حتي كانت سورية وفلسطين قد خضعتا للسيطرة الإسلامية . ففي عام (٦٣٧م) أعلنت بيت المقدس رغبتها في الصلح علي أن يتولي عقده الخليفة عمر بنفسه . وفي عام (٦٣٨م) دخل عمر المدينة مرتدياً ثوباً خلقاً وليس معه غير عدل من الشعير ، وكيس تمر ، وقربة ماء وليس يصحبه غير عبد واحد وإذا تكشف في سياسة الرحمة التي انتهجها عن حكمة وبعد نظر فقد بذل قصاري جهده للحؤول دون التعرض للكنائس النصرانية وللمحافظة علي سلامة قدس الأقداس في العالم المسيحي ، أعني كنيسة القيامة . حتي إذا أبدي الخليفة رغبته في زيارة المقام المقدس حان موعد الصلاة الإسلامية . فما كان منه إلا أن مضي إلي خارج الكنيسة ، حتي باب الشهداء ، وصلي هناك ، خشية أن يطالب أتباعه المتحمسون بتلك الكنيسة بوصفها مكاناً أدي فيه عمر فريضة الصلاة . وكان النبي محمد

---

(١) راجع ستيفن رانسيمان :

Steven Ruufiman: History of the Crusades, I, 41,. Cambridge: Cambridge University Press, 1951

نفسه قد قال إن النصاري واليهود علي السواء أهل كتاب ، وإن علي المسلمين أن يجيزوا لهم الاحتفاظ ببيوت عبادتهم ولا يتعرضوا لها بأذي .

وعلي نقيض الإمبراطورية النصرانية التي حاولت أن تفرض المسيحية علي جميع رعاياها فرضا اعترف العرب بالأقليات الدينية وقبلوا بوجودها . كان النصاري واليهود والزرادشتيون يعرفون عندهم بـ (أهل الذمة) ، أو الشعوب المتمتعة بالحماية . لقد ضُمنَت حرية العبادة لهم من طريق الجزية ، وهي ضريبة علي الرؤوس ما لبثت بعدُ أن امست ضريبة تدفع بدلاً من الخدمة العسكرية . وكانت هذه الضريبة ، مضافاً إليها الخراج ، أو ضريبة الأراضي ، أقل في مجموعهما من الضرائب التي كانت مفروضة في ظل الحكم البيزنطي . كانت كل فرقة من الفرق الدينية تعامل كملة ، أي كطائفة نصف مستقلة استقلالا ذاتياً ضمن الدولة وكانت كل ملة تخضع لرئيسها الديني ، الذي كان بدوره مسؤولا عن مسلكها أمام الحكومة العربية .

والواقع أنه لم يكن ثمة كبير أساس لشكوي المسيحيين في ظل الحكم العربي الذي استهل عقب فتح سورية وفلسطين مباشرة . لقد انشئت هناك حكومة مستقرة ، ولقد راجت التجارة وازدهرت . ليس هذا فحسب ، بل لقد عرفت البلاد فترة ازدهار أيضاً في تطور ثقافة الشرق الأدني الهيلينية . فقد عمل الفنانون والصناع النصاري في تناغم وانسجام ، مع زملائهم المسلمين واليهود ، في خدمة سادتهم العرب . وفي عهد الخليفة عبد الملك أكمل بناء مسجد الصخرة الرائع ، في بيت المقدس ، عام (٦٩١م) . وهذه الأحوال المسعفة التي خلقها الإسلام ، دين الطبقة الحاكمة الجديدة ، أغرت النصاري بالدخول في الدين الجديد . فما انقضت علي الفتح مئة عام حتي أمست سورية ، التي كان سكانها في الأعم الأغلب نصاري هرطقيين ، بلداً إسلامياً في المقام الأول .

وطوال القرن السابع والقرن الثامن والقرن التاسع استمر تدفق الحجاج النصاري الموصول ، من الغرب ، استمراراً لا يعوقه أي عائق . وحين أظهر شارلمان اهتماماً بأمر الأماكن المقدسة شُجع علي إنشاء الأوقاف في القدس وعلي إرسال الصدقات إلي الكنيسة . لقد عزز الاتصال الناشط بالشرق ، ورأي الخليفة هارون الرشيد حليفاً له ضد بيزنطة . وعلي الرغم من أن وضع شارلمان كحام

شرعي للأرثوذكس في فلسطين لم يعمر طويلاً فإن الأسطورة قد أفضت إلي تضخيم الواقع ؛ وهكذا نشأ الأساس ، مهما يكن ضعيفاً ، لادعاء الأجيال المقبلة من الفرنج (الفرنك) بأن من حقها أن تحكم بيت المقدس .

وفي مطلع القرن الحادي عشر طرأ علي سياسة المسلمين التقليدية ، القائمة علي التعايش مع الأقليات الدينية ، انقلاب قصير الأجل ، علي يد الخليفة الحاكم [بأمر الله] . وكانت القدس ، في مستهل تلك الحقبة ، خاضعة لخليفة القاهرة الفاطمي ، أبي علي منصور الحاكم ـ وكانت أمه نصرانية وكان ثمرة تنشئة نصرانية ـ الذي تولي الخلافة عام (٩٩٦م) وهو صبي في الحادية عشرة . حتي إذا بلغ مبلغ الرجال تكشّف عن مزاج غير سوي وارتكس ارتكاساً reaftion عنيفاً ضد تراثه . فاضطهد المسيحيين ، واضطهد اليهود أيضاً . وصادر ممتلكات الكنيسة ، وأصدر أمره بهدم كنيسة القيامة . حتي إذا أعلن نفسه ، عام (١٠١٦م) ، خالقاً للكون ، قلب سياسته رأساً علي عقب ، فقرب النصاري واليهود وأنشأ يضطهد المسلمين . وأغلب الظن أن وفاته عام (١٠٢١م) ، لم تكن طبيعية ، وأنها كانت نتيجة تحريض من شقيقته .

وأسوأ ، بالنسبة إلي الغرب اللاتيني ، من هذه الاضطهادات التي أنزلها (الحاكم) المخبول كان استيلاء الأتراك السلاجقة علي بيت المقدس في عام (١٠٧١م) . وكان الأتراك برابرةً جاهلين متعصبين ، وكانوا قد وفدوا من الشرق وعبروا الفولجا إلي سهوب البحر الأسود . ولقد وفق فرع من عشائر الغز ، عرف بالسلاجقة نسبةً إلي سلجوق جد العشيرة ، إلي احتلال فارس كلها بقيادة طغرلبك . واعتنق هؤلاء السلاجقة الإسلام ، ودخلوا في خدمة الخلفاء العباسيين في بغداد . ولم يكن السلاجقة ، أو زعماؤهم علي الأقل ، في نجوة كاملة ـ في الأعم الأغلب ـ من الاتصال الثقافي بالحضارة الإسلامية . وعلي الرغم من أن السلاجقة كانوا أشد بأساً وخشونةً من فاطميي مصر فإنهم كانوا من الذكاء بحيث يفيدون من عقول رعاياهم الأكثر فطنة وبراعة .

بيد أن بذور الانحلال كانت مستكنةً ضمن الإمبراطورية السلجوقية . ففي عام (١٠٩٢م) ، عند وفاة ملكشاه ، آخر حكامها العظام ، نشبت الحرب الأهلية بين أبنائه ، وانقسمت الإمبراطورية إلي عدة إمارات منفصلة . وكان في اضطراب

الأحوال العامة وما انتهت إليه البلاد من ضعف بالغ بسبب من الأسر المتنازعة ، ما أتاح الفرصة لظهور المسيحيين شاهري السيوف . ولكن حتي قبل بروز الصليبيين أمام أبواب المدينة المقدسة عام (١٠٩٩م) كان المصريون قد وفقوا إلي طرد السلاجقة من بيت المقدس .

وكان البابا غريغوريوس السابع قد فكر فعلياً ـ يحدوه حلم بإنشاء كنيسة كلية خاضعة لسلطان البابوية ـ في تنظيم حملة لإنقاذ الإمبراطورية الشرقية منذ عام (١٠٧١م) ، بعد معركة منزيدرت . حتي إذا تجزأت الإمبراطورية السلجوقية وجه الإمبراطور البيزنطي ، ألكسيوس كومنينوس ، رُسلاً إلي البابا أوربانوس الثاني ، عام (١٠٩٤م) ، يلتمس منه إرسال قوات مستأجرة إضافية تساعده علي استرداد آسية الصغري من الأتراك . فإذا بالأيام التي تلت تقديمه هذا الالتماس تتمخض عن سلسلة من الأحداث عجز خياله ـ في أشد حالات اشتطاطه ـ عن تصورها .

إن الروح الصليبية ، التي كانت قد شرعت قبيل ذلك تعتلج في نفوس (الفرنج البرابرة) ، ما لبثت ـ لَدُنْ إلقاء أوربانوس خطبة في كليرمون فيران Clermont-Ferrand ـ أن تبلورت لتصبح حرباً مقدسة . ولم يكن الهدف الرئيسي إسداء العون إلي البيزنطيين ، بل فتح فلسطين ، وكان لابد من ضمان الأمن بهدنة مدتها ثلاث سنوات تعم ممتلكات الصليبيين . ولقد وعد جميع المشاركين في الحرب (التي أرادها الله) بالفوز ببركة الكنيسة وبالغفران الكامل لخطاياهم ـ مكافأةً أزلية لهم علي نضالهم .

وكانت الاستجابة لهذه الدعوة إلي السلاح عاجلةً وكاملةً . فلم ينقض عامٌ واحد حتى تطوَّعت آلافٌ عديدة للإنضواء تحت راية الحرب الصليبية . والواقع أن لفظ (الصليبية) frusada ، المستمد من حمل الصليب ـ علي طريقة المسيح وعملاً بوصيته ـ إنما اصطنعه أولئك الذين شكلوا مادة (الصليبية) الأولي ، ثم اتخذ بعد ذلك علماً علي الحملات التي تلت . وكان الصليب القماشي الذي حمله الصليبي فوق ملابسه هو رمز هذا النذر . ولقد كان البابا هو الذي أعلن الحروب الصليبية واستهلها ، ولكن دول أوروبة الغربية الإقطاعية وبلدانها الملكية

وجمهورياتها المدينية شاركت في الحركة . لقد كان هدفهم المباشر هو بيت المقدس .

ومهما يكن الدافع الديني الذي يحدو بصاحبه إلي إكتساب الثواب الروحي أصيلاً عند كثير من الصليبيين فإن رؤيا الفتح الدنيوي هي التي تفسر علي وجه أصح اجتماع القوي التي أطلقت للعمل . والواقع أن استرداد الدول النصرانية الديار المفقودة من أيدي المسلمين كان قد تقدم تقدماً موصولاً طوال مئة سنة ونيف قبل الحملة الصليبية الأولي . كان روبرت غيسغار Guisfard وأخوه روجر قد غزوا صقلية الإسلامية . وفي أسبانية كان الأمراء النصاري يستعيدون الأراضي من المسلمين . والحق أن البابا كان في غير ما حاجة كبيرة إلي رفع الصوت بالدعوة ، إذ كان خليقاً بالإقطاعية المحبة للمغامرة أن تكون قد أنشأت ، حوالي تلك الفترة بالذات ، حماستها الخاصة للحملات المسلحة . كانت فرنسة تشكو تضخماً في السكان ، وكانت المجاعات والطواعين متواترة مألوفة . فخليق بأيما فرارٍ أن يكون موضع ترحيب ، وبخاصة إلي أراض كانت الروايات والإشاعات قد أحالتها إلي جنةٍ أرضية .

وأحدثت قوانين الوراثة الإقطاعية طبقة ضخمة من الأبناء الصغار المحرومين من ملكية الأرض ، الشاكين من البطالة ، الراغبين في أن يوجدوا لأنفسهم إقطاعات في ديار جديدة . وأغريت البندقية ، وجنوا ، وبيزا وغيرها من الثغور الإيطالية التجارية بالحصول علي منتجات الشرق بنفقات أقل ومن طريق مباشر إلي حد أبعد . وقد خيل إليها أنها خليقة ببلوغ هذا الهدف إذا ما استطاعت أن تبسط سلطانها علي الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط .

وإذ نظمت الحروب الصليبية في فرنسا ، وعلي يد البابا من أصل فرنسي ، فقد بدأت وظلت حتي النهاية مشروعاً فرنسياً في المقام الأول ، واضعة الأسس (الروحية) للحركة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر . وعلي الرغم من أن الملك الفرنسي كان معاقباً بالحرم البابوي فإن النبلاء الإقطاعيين في فرنسا الشمالية والجنوبية وفي إيطاليا النورمانية أيضاً سارعوا إلي الاستجابة لدعوة البابا وحملوا الصليب في تعطش ، وكان بطرس الناسك ذا أثر كبير في تعبئة العامة من أبناء فرنسة الوسطي ووادي الراين .

لقد دُعي الجزء الأول من الحملة الصليبية (صليبية الشعب) ، ولكن من أصل الفرق الخمس المستقلة التي أعوزتها القيادة الصالحة والتي ألهبت عواطفها خُطَب الناسك لم يُوفق إلي بلوغ القسطنطينية غير فرقتين اثنتين . كانت اثنتان منها قد سحقهما الهنغاريون سحقاً بعد أن عمد أفرادهما إلي السلب والنهب في الأراضي المجرية . واستهلت فرقة ثالثة (التقليد) الصليبي بأن نهبت وذبحت نحواً من عشرة آلاف يهودي . أما العصابات غير المنظمة التي قُدر لها أن تصل إلي آسيا الصغري فقد بدد الأتراك السلاجقة شملها في سهولة ويسر .

وفي ربيع عام (١١٠٧م) التقت الجيوش المتأخرة المؤلفة في الأعم الأغلب من الفرنج (الفرنك) والنورمان تحت ألوية أمرائهم أنفسهم . لقد قاد غودفري دي بويون ، وأخوه بولدوين ، صليبيي اللورين ، وقاد ريموند دي تولوز الصليبيين البروفنساليين ، وقاد بوهيموند أوف أوترانتو وابن أخيه تانكرد الصليبيين النورمان . وبعد أن أدي الأمراء يمين الولاء للإمبراطور ألكسيوس سارعوا هم وجيوشهم إلي الاشتباك بالسلاجقة في ميدان المعركة . وتخلي الأتراك السلاجقة ، الذين كان الضعف قد ألم بهم ، عن نيقية أولاً ثم عن أنطاكية . وكانوا قد تخلوا قبل ذلك عن بيت المقدس للفاطميين الذين رفضوا أن يتخلوا عنها للصليبيين . وفي عام (١٠٩٩م) ، بعد حصار للمدينة دام شهرين اثنين اقتحم النصاري بيت المقدس بمثل ابتهاج المنتصرين المتعصبين المتوقد ، وأعملوا السيف في رقاب المسلمين من غير ما تمييز ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، سواء أكانوا في بيوتهم أو في المساجد ، وواصل النصاري وهم يبكون فرحاً مجزرتهم حتي أخليت المدينة من جميع سكانها المسلمين واليهود . ومثل هذا الإفناء البشري باسم المسيح كان لابد له أن يذهل الناس . ولقد عجزت القرون المتعاقبة عن محو هذه الوصمة .

ومن مملكة القدس كمركز للنشاط الصليبي بسط العالم المسيحي الغربي سلطانه علي (شريط) من الأرض غير ذي شأن محاذ للطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط من الفرات إلي مصر . ولكن اللاتين نادراً ما استطاعوا النفاذ إلي داخل البلاد مسافةً تزيد علي خمسين ميلاً من الشاطيء . فمدينتا حلب ودمشق الإستراتيجيتان لم تُحتلاّ البتة . ولم يكن ثمة غير قوة صغيرة دائمة من المسلحين أقامت في البلاد للدفاع عن المناطق المفتوحة ، برغم أن سيلا مستمراً من الحجاج

المقاتلين ظل يزود الصليبيين بالأمداد حتي في الفترات التي تراخت بين حملة صليبية وأخري . وكانت مدينتا البندقية وجنوا التجاريتان ، اللتان وجدتا في التجارة مع سوريا عملاً رابحاً ، تقدمان إلي الصليبيين أعداداً صغيرة من الجنود المرتزقة .

وبدت المملكة اللاتينية في سوريا أشبه شيء بمقطع مستعرض fross-seftion من فرنسة الإقطاعية منقولٍ إلي ما وراء البحار . ولم تعش الحاميات المختلفة المعزولة علي شيء سوي الجشع غير القانوني ، وكانت الرغبة في الكسب غير المشروع كثيراً ما تغري تلك الحاميات بأسر المسلمين التماساً للفدية ، أو بسلب القوافل ونهبها ، ولم يوفّق اللاتين في أيّما يوم من الأيام إلي حث أبناء الغرب علي الهجرة إلي الأرض المقدسة وبناء دولة نصرانية من الأوروبيين . وما كان لدولتهم الشاذة أن تُعمر ، ولو فترةً قصيرة من الزمن ، من غير ما تعاون مخلص من جانب المسيحيين المشرقيين علي الأقل ، ولكنهم عجزوا عن الفوز بذلك أيضاً .

وكان استيلاء المسلمين علي الرُّها ، عام (١١٤٤م) ، إيذاناً بإنحطاط المملكة اللاتينية وبدء الحملة الصليبية الثانية . ودعا القديس برنارد ، في فرنسا أيضاً ، إلي تجريد حملة صليبية شارك فيها لويس السابع (١١٢١م- ١١٨٠م) وكونراد الثالث (١٠٩٣م- ١١٥٢م) ملكا فرنسة وألمانية . ولكن جيوشهما أفنيت ، أو كادت ، فيما هي تجوز آسية الصغري ؛ ومن هنا عجزت الحملة الصليبية الثانية عن تحقيق أيّما شيء . والواقع أن سقوط مملكة القدس نفسها كان قد أمسي مسألة وقت ليس غير .

ذلك بأن استنقاذ بيت المقدس كان قد أضحي أمراً لا مفر منه بعد أن وجد الإسلام قدراً من الوحدة في شخصية صلاح الدين (١١٣٨م- ١١٩٣م) ، القائد الكبير والسياسى العظيم . وكان صلاح الدين قد وُفق عام (١١٧١م) إلي القضاء علي الحكم الفاطمي في مصر ، وكانت سورية والعراق ومصر قد خضعت كلها لسلطانه . وفي عام (١١٨٧م) استسلمت بيت المقدس ، ولكن موقف صلاح الدين المنتصر تغاير تغايراً حاداً مع المذابح التي ارتكبها النصاري قبل ثمانية وثمانين

عاماً . لقد احتل صلاح الدين المدينة احتلالاً نظامياً وإنسانياً ، لم يُؤذَ فيه أحد من النصارى ، ولم ينهب خلاله أى من البيوت . وجمع القادرون من النصارى مقادير من المال فاشتروا بها حريتهم الكاملة . ولو لم يكن فرسان الداوية أو الهيكليون ، وفرسان الاسبتارية ، والكنيسة بالغي الشح والبخل إذن لكان من الجائز أن ينجو آلاف من النصارى من العبودية(١) . والواقع أن صلاح الدين الشهم أطلق الأزواج الأسرى ، وقدم الهبات إلى الأرامل وإلى اليتامى من خزانته الخاصة .

وفي عام (١١٨٩م) حاولت المسيحية الغربية ، من طريق صليبية ثالثة ، أن تمد يد العون إلي مملكتها المشرقية التي كانت قد تقلصت حتي أمست مقصورةً علي ثغور أنطاكية وطرابلس وصور . ولقد شارك في هذه الصليبية شخصيات شهيرة من مثل فردريك بربروسا (١١٥٢م- ١١٩٠م) ملك ألمانية وصاحب الامبراطورية الرومانية المقدسة ؛ وفيليب أوغسطس (١١٦٥م- ١٢٢٣م) ملك فرنسة ، وريكاردوس قلب الأسد (١١٥٧م- ١١٩٩م) ملك انكلترة . ولكن الصليبية الثالثة لم توفق برغم ذلك إلي أكثر من إنقاذ قبرص ، وجانب من الشاطيء المشرقي مع مدينة عكا البحرية . وكان من مجالي الحملة الصليبية الثالثة المميزة نشوء صلات أوثق بين النصاري والمسلمين . كان ريكاردوس قد اكتسب احترام صلاح الدين الذي كان مفعماً بروح الفروسية ، والذي كان قد بعث إليه بشيء من الثلج والفاكهة يوم أصابته الحمي . ومثّل آخر علي هذه الصلات الوثيقة الاقتراح القاضي بأن يتزوج أخو صلاح الدين (جوهانا) أخت ريكاردوس . صحيح أن الزواج لم يتم فعلاً ، ولكن معاهدة ما لبثت أن عُقدت ، علي الأقل عام (١١٩٢م) ، عقبتها فترة من السلم . لقد تركت المدن الساحلية ، حتي يافا جنوباً ، للمسيحين . وأجيز للحجاج أن يقوموا بزيارة الأماكن المقدسة ، في حرية ؛ وكان في ميسور المسلمين أن يجتازوا بالأراضي الخاضعة لسلطان المسيحيين ، والعكس بالعكس .

وعلي الرغم من أن هذه الأحداث لطفت من حدة العداء الإسلامي المسيحي فإن المسيحيين ما كانوا بقادرين علي تصور بقاء بيت المقدس خاضعةً للإدارة

---

(١) راجع ستيفن رانسيمان :

. ***Steven Runciman:*** History of The Crusades, I, 22.

الإسلامية . وهكذا دعوا إلي تنظيم صليبية رابعة في مطلع القرن الثالث عشر ، وبخاصة في فرنسة الشمالية والفلاندر ، وإجتناباً للطرق البرية الطويلة ، عمد الفرنسيون ـ وكانوا يؤلفون كثرة الجيش الكاثرة ـ إلي مساومة البنادقة لنقلهم بمراكبهم إلي مصر أو فلسطين . حتي إذا بلغ الصليبيون البندقية عجزوا عن دفع الأجر المتفق عليه مقابل حملهم علي متن البحر . وسرعان ما أقنعوا بالفوز بنفقة الرحلة البحرية من طريق القيام بحركة التفاف ومهاجمة مدينة (زارا) الواقعة علي بحر الأدرياتيك ، والتي طمع البنادقة في انتزاعها من ملك هنغارية . وهكذا لم يجد الصليبي نفسه مضطراً إلي مقاتلة أخيه النصراني الذي لم ينزل به أيّما أذي فحسب ، بل لقد أغري ، فوق ذلك ، بأن ينهب روم القسطنطينية ويفتك بهم . وليس بين جرائم التاريخ جريمة ارتكبت لمجرد الرغبة في التدمير أشنع من غزو القسطنطينية عام (١٢٠٤م) . وكرةً أخري ، كشف اللاتين عن وجههم الحقيقي .

وأفْضَتْ موجات النصاري المتعاقبة خلال القرنين التاليين إلي قيام عدد من الصليبيات المختلفة . ومن المتعذر في كثير من الأحيان الفصل ما بين هذه الصليبيات وتمييز بعضها من بعضها الآخر بالأرقام ، نظراً إلي اتصال القتال واستمراره . وفي عام (١٢١٢م) نشأت حركة صليبية مُشْجبة بين الأطفال الذين رَحَوْا أن يوفقوا حيث أخفق الآثمون . وهكذا قاد صبي من أبناء الفلاحين الفرنسيين آلافا من أترابه إلي مرسيليا حيث توقعوا أن ينشق البحر أمامهم ، كما سبق للبحر الأحمر أن انشق أمام أطفال إسرائيل . وأدت الحيل الخسيسة التي اصطنعها أصحاب السفن إلي اختطاف الأطفال وبيعهم في سوق النخاسة في مصر . وجمع نقولا ، وهو شاب من كولوني ، نحواً من عشرين ألفاً من الأتباع . ولكنهم غابوا في مطاوي النسيان فلم يُسْمَعْ عنهم بعد ذلك أيما نبأ ، شأنهم في هذا كشأن أولئك الأطفال الذين قادهم زامرُ « هملين » ذو الثياب المختلفة الألوان(٣) .

---

(٣) راجع باركر ، ارنست :

Barker, Earnest: «The Crusdes», in The Legasy of Islam p. 75. London: Oxford University Press, 1925.

واستهل ملك هنغارية ودوق النمسا حرباً صليبية خامسة ، عام ١٢١٧م، بإنطلاقهما إلي سورية . وفي السنوات الأربع التالية وجهت حملة إلي دلتا النيل . وكان في هذه المحاولة المخفقة لفتح مصر ما وضع حداً لتلك الحرب ، من غير أن تتمخض عن أيما كسب ذي شأن ، اللهم إلا استرداد الصليب المقدس .

وكان البابا أنوسنت الثالث قد حث فردريك الثاني (١١٩٤م- ١٢٥٠م) صاحب الإمبراطورية الرومانية المقدسة وملك صقلية حثاً موصولاً علي القيام بحملة صليبية جديدة . وكان بلاط فردريك هوهنشتاوفن هذا ، مثل بلاط جده روجر الثاني ملك صقلية (١١٣٠م- ١١٥٤م) نصف شرقي ونصف غربي ، وكانت تربطه بالمسلمين صلات ودية في حقلي السياسة والتجارة . ليس هذا فحسب ، بل لقد عمل - بوصفه واحداً من أكثر حكام القرون الوسطي ذكاءً وأشدهم تطلعاً فكرياً - علي تشجيع ترجمة العلم والفلسفة العربيين إلي اللاتينية . وفي عام ١٢٢٤م أنشأ جامعة نابولي حيث درس القديس توما الأكويني (١٢٢٦م- ١٢٧٤م) آثار الشارحين العرب لفلاسفة اليونان . ولقد فاقت مملكته الصقلية جميع جاراتها الأوروبيات ازدهاراً وحضارة .

وبفضل التسوية السلمية التي عقدها فردريك ، عام (١٢٢٨م) ، مع سلطان مصر الأيوبي ، الكامل ، أسفرت الحملة الصليبية السادسة عن تنازل الملك الكامل عن بيت المقدس والأراضي الواقعة بينها وبين الشاطيء . وقد عُمرت مملكة القدس الممجدة حتي عام (١٢٤٤م) عندما ضاعت من أيدي النصاري ، بسبب من خطأهم هم أنفسهم في الحساب والتقدير ، حتي القرن العشرين . لقد آثروا التحالف مع صاحب دمشق علي التحالف مع سلطان مصر ، وفي عام (١٢٤٤م) هُزِموا في معركة غزة ، وكان الذي هزمهم هو ركن الدين بيبرس (١٢٣٣م- ١٢٧٧م) ، سلطان مصر المملوكي المقبل . وفي السنة نفسها سقطت بيت المقدس في يد الخوارزميين ، الذين كانوا بدواً طورانيين تشدهم إلي الأتراك صلة نسب .

وكان الطورانيون ، الذين كان المغول قد أخرجوهم من ديارهم إلي آسية الصغري وسورية ، خطراً رهيباً علي المسلمين والنصاري علي حد سواء . ومع أنهم كانوا غزاة أجلافاً غير متحضرين فإن الخطر الحقيقي علي العالم المتمدن كان

خطر عشائر المغول المترحلة . وكان هؤلاء المغول طورانيين من سهوب آسية الشرقية ، ولم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام ، ولم تكن الثقافة الإسلامية قد صقلتهم كما صقلت الأتراك إلي حد ما . ولقد اجتاح هؤلاء المغول الصين وآسية الوسطي برمتها ودمروا مختلف الحضارات المحيطة بهم ، وقد خلق زعيمهم تموجين (جنكيز خان ، ١١٧٦م، ١٢٢٧م) قوة حربية لا تُقْهر ، قوة أنزلت بالشرق أذيً لا سبيل إلي تقديره .

ومن وجهة نظر منطقية وعقلانية نستطيع أن نفترض أنه كان خليقاً بالنصاري أن يتحالفوا مع المسلمين النزاعين إلي الوفاء بالمعاهدات لكي يدفعوا عن الإنسانية بلاء المغول . والواقع أنه كان في ميسورهم أن ينهجوا هذا النهج ، ومع ذلك فنحن نجد أن ما حدث كان هو العكس تقريباً . فقد وجه زعيم العالم المسيحي ، البابا أنوسنت الرابع ، بعثتين إلي منغوليا . وكان القديس لويس ، الورع ، قد أبي علي نحو موصول أن يتفاوض مع المسلمين بأية حال ، ومع ذلك فإنه لم يجد أية غضاضة علي معتقداته الدينية أن يوجه موفدين دومينيكيين لمفاوضة المغول الوثنيين .

ولا حاجة إلي القول أن العشائر الآسيوية المترحلة لم تخرج إلا ابتغاء الغزو والفتح ، وأنها ما كانت تعتزم غض الطرف عن أيما ضرب من الدولة النصرانية . لقد ساعدت النصاري من طريق غير مباشر ليس غير بغزو العالم الإسلامي وبإنزال البؤس والشقاء في ساحة الإنسانية . إن حضارة الشرق الأدني لن تنير للعالم بعد ذلك كرةً أخري .

وفي عام (١٢٥٣م) غزا المغول ، بقيادة هولاكو (١٢١٧م- ١٢٦٥م) ، حفيد جنكيز ، القسم الجنوبي من فارس ، وفي عام (١٢٥٨م) تم الاستيلاء علي بغداد . لقد صُرع ثمانون ألف مواطن ، ولقد دُمرت المدينة تدميراً كاملاً . وبسبب من تخريب أنظمة الري الرائعة لم يوفق الريف ، حتي يومنا هذا ، إلي استعادة خصبه السابق . لقد قُضي علي الخلافة العباسية ، وفُصِمت عري الوحدة العربية . وابتهج النصاري الآسيويون ، غير مميزين ما بين الوسائل والغايات . ولكن ابتهاجهم لم يعمر طويلا ، وسرعان ما زارتهم آلهة انتقامهم . لقد أمست

سورية حقل التجربة الأخير بين المغول والمسلمين ، وسقطت المملكة اللاتينية في يد المنتصرين .

وفي سنة (١٢٤٩م) جُرّدت الحملة الصليبية السابعة التي أسفرت عن أسْر القديس لويس (لويس التاسع) ثم افتدائه ، وكانت هذه الحملة قد وجهت للاستيلاء علي مصر بدلاً من أن توجه لاسترداد القدس المفقودة . وكانت دولة المماليك هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي لم يهزمها المغول . كان المغول قد استولوا علي بغداد ، وحلب ، ودمشق ولكنهم صُدوا عن سبيلهم في معركة عين جالوت الحاسمة ، حيث هزمتهم [قوات] السلطان المصري قُطُز ، عام (١٢٦٠م) . وبذلك أُنقذ الإسلام وأنقذت آسية الغربية من أعظم خطر قُدر لهما أن يواجهاه وأشده هولاً . وخلال القرنين التاليين أمست سلطنة المماليك بمصر الدولة الرئيسية في الشرق الأدني حتي قيام الإمبراطورية العثمانية .

وواحداً بعد واحد سقطت مراكز القوة الصليبية ـ أنطاكية ، وطرابلس ، وأخيراً عكا عام (١٢٩١م) ، ولكن المؤسسات تموت موتاً بطيئاً . وهكذا استمرت الحروب الصليبية ، علي المستوي الدولي ، طوال قرن آخر علي الأقل . وكان آخر مظهر من مظاهر سفالة الغزاة ولؤمهم نهبُهُم مدينة الأسكندرية عام (١٣٦٥م) . والواقع أن المجازر التي رافقت ذلك العمل لا يضارعها شيء غير مجازر القدس عام (١٠٩٩م) والقسطنطينية عام (١٢٠٤م) . وفي ذلك برهان قاطع علي أن كرّ السنين لم يخفف ، إلا قليلا ، من أعمال اللا تسامح التي قام بها الصليبيون باسم الله .

جدول كرونولوجى

تواريخ	اسماء	فى العالم الإسلامى	أحداث هامة في أوروبة والغرب
٦١١م- ٦٢٢م	سيدنا محمد ﷺ (٥٧٠ - ٦٣٢)	الفرس يغزون فلسطين ؛ ينهبون بيت المقدس وينقلون الصليب المقدس إلى بلادهم .	هرقل الأول (٦١٠م- ٦٤١م) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية .
٦٢٢م- ٦٣٠م	(الصليبية البيزنطية)	هرقل يهزم الفرس ويعيد الصليب المقدس .	الحجاج الغربيون يفدون إلى الشرق خلال القرن السابع والقرن الثامن والقرن التاسع .
٦٣٧م	الخليفة عمر	سقوط بيت المقدس في أيدى المسلمين ؛ المسلمون يعاملون النصارى واليهود في تسامح بناء قبة الصخرة يكتمل عام ٦٩١م.	
٩٩٦م- ١٠٢١م	الحاكم بأمر الله	الخليفة الفاطمي المخبول يضطهد النصارى واليهود ؛ تدمير كنيسة القيامة	الملك كانوت يسيطر على انكلترة والدنمرك والنرويج .
١٠٧١م	ألب أرسلان	معركة منزيدرت تمكن الأتراك السلاجقة من غزو آسيا الصغرى .	النورمان يغزون صقلية
١٠٩٥م	البابا أوربانوس الثاني	إعلان الحملة الصليبية الأولى	وليم الثاني يحكم انكلترا

obeikandl.com

تواريخ	اسماء	في العالم الإسلامي	أحداث هامة في أوروبة والغرب
		في كليرمون فيران	(١٠٨٧م- ١١٠٠م)
١٠٩٩م	غودفري دي بويون ، بولدوين ، ريموند دي تولوز ؛ بوهيموند أوف أو ترانتو	النصارى يستولون على بيت المقدس	
١١٤٤م	القديس برنار ؛ لويس السابع (١١٢١م- ١١٨٠م) ؛ كونراد الثالث (١٠٩٣م- ١١٥٢م) .	سقوط الرها يجدد الاهتمام بالحملات الصليبية بدء الحملة الصليبية الثانية .	روجر الثاني يحكم صقلية (١١٣٠م- ١١٥٣م) .
١١٨٧م	صلاح الدين	المسلمون ينقذون بيت المقدس من أيدى الصليبيين .	جامعة أوكسفورد (١١٦٧م)
١١٨٩م	فردريك بربروسا ، ملك ألمانية وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ؛ فيليب الثاني ملك فرنسا ؛ ريكاردوس قلب الأسد .	الحملة الصليبية الثالثة	
١٢٠٢م- ١٢٠٤م	الحملة الصليبية الرابعة	الصليبيون ينهبون القسطنطينية (١٢٠٤م) .	

obeikandl.com

تواريخ	أسماء	في العالم الإسلامي	أحداث هامة في أوروبة والغرب
١٢١٢م	صليبية الأطفال		الوثيقة العظمى Magna Charta (١٢١٥م)
١٢١٧م ـ ١٢٢١م	أنوسنت الثالث	الحملة الصليبية الخامسة .	
١٢٢٨م	فردريك الثاني ، غريغورى التاسع .	الحملة الصليبية السادسة .	
١٢٤٩م ـ ١٢٥٤م	القديس لويس	الحملة الصليبية السابعة .	
١٢٧٠م	إدورد ملك انكلترا	الحملة الصليبية الثامنة . هولاكو يستولي على بغداد (١٢٥٨م).	

obeikandl.com

أما المغول ، فكان للمغول دولتان عظيمتان هما دولة بنى هولاكو وتشمل بلاد العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر ، ودولة بني جوجي بن جنكيزخان في الشمال وتعرف باسم بلاد القفجاق التى ظلت مملكة بدوية يعيش أهلها على الرعي في المناطق السهلية ، وكان ملكهم هو خان القبيلة الذهبية التى امتد سلطانها على المناطق الواقعة جنوب روسيا ، ويصف ابن خلدون الوضع السياسى لهاتين الدولتين فيقول (كان للتتار دولتان مستفحلتان إحداهما دولة بني هولاكو ، أخذ بغداد والمستولي على كرسي الإسلام بالعراق وأصارها هو وبنوه كرسياً لهم ، ولهم مع ذلك عراق العجم وفارس وخراسان وما وراء النهر ، ودولة بنى دوش خان بن جنكيز خان بالشمال متصلة إلى خوارزم بالمشرق إلى القرم وحدود القسطنطينية بالجنوب وإلى أرض بلغار بالمغرب) .

فلهذا تصدى كبار العلماء والفقهاء والقضاة والكتاب والمؤرخين لهذه الحملات الصليبية والتتار فمن هؤلاء ابن كثير الذي نبغ في هذه المهمة .

من هو ابن كثير

فابن كثير هو الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن زرع ، البصري ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة سبعمائة ، وقدم دمشق وله سبع سنين ، سنة ست وسبعمائة ، مع أخيه بعد موت أبيه ، وحفظ التنبيه وعرضه سنة ثمان عشر ، وحفظ مختصر ابن الحاجب ، وتفقه بالبرهان الفزاري والكمال ابن قاضي شهبة ، ثم صاهر المزى ، وصحب ابن تيمية ، وقرأ في الأصول على الأصبهاني ، وألف في صغره أحكام التنبيه ، وكان كثير الاستحضار ، قليل النسيان ، جيد الفهم ، يشارك فى العربية ، وينظم نظماً وسطاً ، ذكره الذهبي في معجمه المختص ، فقال : الإمام المحدث المفتي البارع ، ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم : الحسيني والعراقي وغيرهما ، وسمع من الحجار والقاسم بن عساكر وغيرهما ، ولازم الحافظ المزي ، وتزوج بابنته ، وسمع عليه أكثر تصانيفه ، وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية فأكثر عنه .

وقال ابن حبيب فيه : إمام روى عنه التسبيح والتهليل وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى ، وشنف وحدث وأفاد ، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير وهو القائل :

تمر بنا الأيام تترى ، وإنما نساق إلى الآجال ، والعين تنتظر
فلا عائدٌ ذاك الشباب الذي مضى ولا زائل هذا المشيب المكدِّر

ومن مصنفاته : التاريخ المسمى بالبداية والنهاية ، والتفسير ، وكتاب في جمع المسانيد العشرة ، واختصر تهذيب الكمال ، وأضاف إليه ما تأخر في الميزان ، سماه التكميل ، وطبقات الشافعية ، وله سيرة صغيرة ، وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتباً منها مجلدات إلى الحج ، وشرح قطعة من البخاري وغير ذلك . وتلامذته كثير منهم ابن حجي ، وقال فيه : أحفظ من ادركناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها ، يستحضر كثيراً من الفقه

والتاريخ ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه . وقال غيره كما ذكر القاضي ابن شهبة في طبقاته : كانت له خصوصية بالشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ومناضلة عنه ، له في كثير من آرائه ، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتحن بسبب ذلك وأوذي .

ولي ابن كثير مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي ، وبعد موت السبكي ولى مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ، ثم أخذت منه .

مات رحمه الله في يوم الخميس ، السادس والعشرين من شعبان ، سنة ٧٧٤ هـ ، ودفن بمقبرة الصوفية بدمشق . وقد اعتمدنا في إصدار هذا الكتاب على المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية ، وعدة طبعات قديمة ، ومنها الطبعة التي قدمها الأستاذ المرحوم محمد رشيد رضا .

نسأل الله العون والمغفرة والرحمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ، أما بعد ، فقد أمر من أمره عزّ وغنم ، وطاعته فرض وحتم ـ وهو المقر الشريف العالي المولوى الأمير الكبيرى السلطنة الكاملى الزعيم الغيائي المجاهدي المرابطي المثاغري السيفي منجك نائب السلطنة المعظمة بالشام المحروسة أعز الله أنصاره ، وأدام ملك سلطانه واقتداره ـ أن أكتب ما تيسر من الكتاب والسنة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور الإسلامية ليرغب أهلها في ثواب ما أهلهم الله له ، من الرباط في الثغور الإسلامية التي هى حفظ حوزة الإسلام ، وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار ، في سائر الليالي والأيام فأجبته إلى ما أمر ، لأنه نائب الإمام ، وفيما أمر طاعة لله ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد كنت جمعت في ذلك مجلداً بسيطاً فاختصرت منه منهجاً وسطاً وسيطاً ، فأقول متوكّلا على العزيز الرحيم ، القوي المتين ، مقتديا برسوله المبين ، الصادق المصدوق الأمين ، خاتم النبيين والمرسلين إلى جميع المكلفين من الأميين والأعجمين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ورضي الله عن جميع الصحابة والتابعين .

آيات في الحث على الجهاد

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونَكُمْ[1] من الكفار وليجدوا فيكم غِلْظَةً[2] واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[3]

وقال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم ﴾[5] .

---

(١) المقصود الأقرب فالأقرب .

(٢) الصعوبة والشدة

(٣) سورة التوبة : ١٢٣

(٤) سورة التوبة : ٢٩ .

(٥) سورة التوبة : ١٤ ، ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ۞ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ۞ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ۞ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ۞ سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ۞ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ۞ والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ۞ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ۞ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۞ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ۞ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم

---

(١) سورة محمد : ١ ـ ٩ .
(٢) سورة الصف : ١٠ ـ ١٣ .
(٣) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ .

الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾[٤] .

ولهذا قال أبو هريرة[٥] رضي الله عنه : « لأن أرابطُ ليلةً في سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود ، رواه أبو حاتم[٦] وابن حبان[٧] في صحيحه عن النبى ﷺ أنه قال ذلك[٨] .

وروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي[٩] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها[١٠] » .

---

(٤) سورة التوبة : ١٩ ـ ٢٢ .

(٥) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى ، حفظ عن النبى ﷺ الكثير وعن أبي بكر وعمرو وأُبيّ بن كعب ، وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك ، وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع ، مات سنة ٥٨ هـ .

(٦) هو أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي الرازي روى عن أحمد وآدم بن أبي إياس وأبي خيثمة وقتيبة ، وعنه أبو داود والنسائى وابن ماجه ، ثقة ، مات بالرى سنة ٢٧٠ هـ .

(٧) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن سعد التميمي البستي صاحب التصانيف ، سمع النسائي والحسن بن سفيان وأبا يعلي الموصلي وولي قضاء سمرقند ، قال الحاكم عنه : كان من أوعية العلم في الفقة والحديث واللغة والوعظ ومن عقلاء الرجال وكانت الرحلة إليه ، مات سنة ٣٥٤ هـ .

(٨) انظر الترغيب والترهيب (٢ / ٢٤٦) . وموارد الضمآن إلى زوائد ابن حبان (ص ٣٨١) والمطالب العالية (٢ / ١٤٤) .

(٩)وهو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي أبو العباس ويقال أبو يحيى له ولأبيه صحبة روى عن النبي ﷺ وعن أبي بن كعب وعاصم بن عدي وعمرو بن عبسة ومروان بن الحكم ، وعنه ابنه عباس والزهري وأبو حازم بن دينار ووفاء بن شريح الحضرمي ويحيى بن ميمون الحضرمي وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ذباب وعمرو بن جابر الحضرمى ، ثقة مات ٩٦ هـ وقيل سنة ٨٨ هـ .

(١٠) رواه البخارى (٤ / ٤٣) كتاب الجهاد ، باب فضل رباط يوم فى سبيل الله . ورواه مسلم (٣ / ١٥٠٠) كتاب الامارة . ورواه ابن ماجه (٢ / ٩٢١) . ورواه الترمذى (٥ / ٣٧٥) .

وفي صحيح مسلم عن سلمان الفارسي[١١] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه[١٢] » .

وعن فضالة[١٣] بن عبيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر » رواه الإمام أحمد وهذا لفظه ، وأبو داود[١٤] والترمذى[١٥] وقال هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضا[١٦] .

وعن عقبة بن عامر[١٧] رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، يجرى عليه عمله حتى يبعث ويؤمن من الفتان » رواه الإمام أحمد[١٨]

---

(١١) هو سلمان الخير الفارسي أبو عبد الله بن الإسلام ، أصله من أصبهان وقيل من رامهرمز أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة وأول مشاهده الخندق روى عن النبي ﷺ ، وعنه أنس وابن عجرة وابن عباس وأبو سعيد الخدريوأبو الطفيل وأم الدرداء الصغرى وأبو عثمان النهدى وطارق بن شهاب وعبد الله بن وديعة وعبد الرحمن بن يزيد النخعى وشهر بن حوشب مات سنة ٣٦ هـ وقيل ٣٣ هـ .

(١٢) رواه مسلم (٣/١٥٢) كتاب الامارة .

(١٣) هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيبة ويقال صهيب بن الأصرم أبو محمد الأنصاري ، شهد أحداً ومابعدها وولاه معاوية الغزو وقضاء دمشق ، روى عن النبي ﷺ وعمرو وأبي الدرداء وجماعة ، عنه أبو على ثمامة بن شفى وحنش بن عبد الله الصنعانى وعبد الرحمن بن محيريز وعبد الله بن عامر اليحصبي وعلى ابن رباح وأبو على عمرو بن مالك الجنبى مات سنة ٥٣ هـ .

(١٤) هو أبو داود السجستانى سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي صاحب كتاب السنن والناسخ والمنسوخ والقدر والمراسيل ولد سنة ٢٠٢ هـ وروى عن القعنبي ومسلم بن إبراهيم وأبي الوليد الطيالسي وأحمد ويحيى وإسحاق وابن المديني ، وعنه الترمذي وابنه أبو بكر وحرب الكرماني وزكريا الساجي وأبو عوانة وأبو بشر الدلاني وأبو بكر الخلال والنجاد . قال زكريا الساجي : كتاب الله أصل الإسلام وكتاب السنن لأبى داود عهد الإسلام ، مات سنة ٢٧٥ هـ .

(١٥) هو أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى صاحب الجامع والعلل ، روى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي مات بترمذ فى رجب سنة ٢٧٩ هـ .

(١٦) رواه الامام أحمد فى مسنده (٦/٢٠) . ورواه أبو داود (٣/٢٠) . ورواه الترمذى (٥/٣٤٤) وقال حديث حسن صحيح .

(١٧) هو عقبة بن عامر الجهني صحابي كان فقيها علامة قارئا لكتاب الله بصيراً بالفرائض فصيحا مفوهاً شاعراً كبير القدر . ولى أمرة مصر لمعاوية ثم عزله وأغزاه البحر سنة ٤٧ هـ ، مات سنة ٥٨ هـ .

(١٨) رواه الامام أحمد فى مسنده (٤/١٥٠ ، ١٥٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من مات مرابطاً في سبيل الله أُجرى عليه أجرُ عمله الصالح الذي كان يعمل ، وأُجري عليه رزقه ، وأمن من الفتان ، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع » رواه ابن ماجه[١٩] .

وعن أم الدرداء[٢٠] ، رضي الله عنها ترفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه قال : « من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة » . رواه الإمام أحمد[٢١] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب الناس على المنبر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم في سبيل الله أفضل ـ أو قال خيرٌ ـ من صيام شهر وقيامه ، ومن مات فيه وُقي فتنة القبر ونمي له عمله إلى يوم القيامة » وقال هذا حديث حسن[٢٢] .

وروى ابن ماجه بإسناد فيه غرابة وضعف ـ ولكن قد اغتفروا رواية الحديث الضعيف في الترغيبات ـ عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً في غير شهر رمضان أعظم أجراً من مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً في شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً ـ أو قال من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها ـ فإن رده الله إلى أهله سالما لم تكتب عليه سيئة ألف سنة ، وكتبت له الحسنات ، ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة »[٢٣] .

---

(١٩) رواه ابن ماجه (٢ / ٩٢٤) .

(٢٠) زوج أبي الدرداء اسمها هجيمة ويقال جهيمة بنت حيى الأوصابية الدمشقية ، روت عن زوجها وسلمان الفارسي وفضالة بن عبيد وأبي هريرة وكعب بن عاصم وعائشة . روى عنها جبير بن نفير ومهدى ابن عبد الرحمن وسالم بن أبي الجعد وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب وصفوان بن عبد الله وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر وأبو حازم بن دينار وطلحة بن عبيد الله بن كريز وعبد الله بن أبي زكريا وعثمان بن حيان الدمشقي ويعلي بن مالك ويونس بن ميسرة ومكحول الشامي ، ثقة مات سنة ٨١ هـ .

(٢١) رواه الامام احمد فى مسنده (٦ / ٣٦٢) .

(٢٢) رواه الترمذى (٥ / ٣٧٥ ، ٣٧٦) عن محمد بن المنكدر .

(٢٣) رواه ابن ماجه (٢ / ٩٢٤ ، ٩٢٥) كتاب الجهاد . وذكر الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢ / ٢٤٥) أن هذا الحديث رواه ابن ماجه وآثار الوضع ظاهرة عليه ولا عجب فراويه عمر بن صبيح الخرسانى ، ولولا أنه من الأصول لما ذكرته .

وعن أنس[٢٤] بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « حَرَسُ ليلة في سبيل الله أفضل من صيام الرجل وقيامه في أهله ألف سنة ، السنة ثلاثمائة وستون يوما ، اليوم كألف سنة » رواه ابن ماجه بإسناد غريب[٢٥] .

وروى ابن ماجه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رحم الله حارس الحرس »[٢٦] .

وعن أبى ريحانة[٢٧] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حرمت النار على عين دَمِعَت ـ أو بكت ـ من خشية الله ، وحرمت على عين سهرت في سبيل الله » رواه أحمد والنسائي[٢٨] .

وفى صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَعِسَ عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخَمِيصَةِ أن أُعطي رضي ، وإن لم يعط سَخِطَ ، تعس وانتكس ، وإذا شِيكَ فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذِ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه . إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في السَّاقَةِ كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع »[٢٩] .

---

(٢٤) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني خادم رسول الله ﷺ ، وله صحبة طويلة وحديث كثير ، مات سنة ٩٣ هـ .

(٢٥) رواه ابن ماجه (٢ / ٩٢٥) عن سعيد بن خالد بن أبى الطويل ، وهو مطعون فى عدالته . قال الذهبى فى ميزان الاعتدال (٢ / ١٣٢) وقد أشار إلى الحديث الذى معنا وعقب على العبارة الأخيرة منه مستنكراً بقوله : (فهذه عبارة عجيبة لو صحت لكان مجموع ذلك الفضل ثلثمائة ألف ألف سنة وستين ألف ألف سنة) .

(٢٦) رواه ابن ماجه (٢ / ٩٢٥) وإسناده ضعيف فيه صالح بن زائدة أبو واقد الليث ضعيف قال البخارى : متروك الحديث . وترجم له الذهبى فى ميزان الاعتدال (٢ / ٢٩٩) .

(٢٧) هو أبو ريحانة السعدى اسمه عبد الله بن مطر البصري ويقال اسمه زياد ، روى عن سفينة وابن عباس وصحب ابن عمر . روى عنه عوف الأعرابي ووهيب بن خالد وسليمان بن كثير وبشر بن المفضل وإسماعيل ابن علية وعلي بن عاصم ، ثقة .

(٢٨) رواه الامام أحمد فى مسنده (٤ / ١٣٤ ، ١٣٥) . ورواه النسائى (٦ / ١٥) .

(٢٩) رواه البخارى (٤ / ٤١) ، (٧ / ١١٥) .

فصل

ولما هجم[٣٠] هؤلاء الكفرة من الفرنج لعنهم الله ، (فى محرم سنة سبع وستين وسبعمائة) على ثغر الإسكندرية على حين غفلة من أهلها ، وغيبة من نائبها[٣١] وجيشها ، وحراس بلادها وحزنها وسهلها فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا وقدرا مقدورا ، فحازوا من الأموال ، وقتلوا من الرجال ، وسبوا من النساء والأطفال ، ممن تخلف بها عن الهرب وكان معذورا ، واختملوا من المتاجر قناطير مقنطرة ، وساء لهم يوم القيامة حملا ، وبادروا إلى إحراز ذلك في مراكبهم التي ملئت غصباً وغضباً ، واستدرجهم القدر المقدور وأملى .

فبينما هم في غَيِّهم وإفسادهم وكفرهم وعنادهم إذ أقبلت رايات الإسلام وآيات العز والنصر عليهم تتلى ، فعندما تحقق اللعين المخذول قدوم السلطان ، فر كما يفر الشيطان من سماع الأذان ، وأبقى إلى ملكه وولَّى ، وأقسم لو أقام حتى يدركه وجميع من معه أوائل الجيش المحمدي لرشقتهم القداح ، وشجرتهم الرماح ، وقطعتهم الصفاح ، وصيرتهم كأمس الذاهب صرعى وقتلى ، ولكنه فر ـ كما ذكرنا ـ فرار العبيد إذا أبقوا ، وهرب عندما عاين كترة الجيش الإسلامي هرب الخونة إذا سرقوا[٣٢] .

---

(٣٠) في هذا الفصل ذكر معركتين كانتا قد وقعتا في زمن السلطان زين الدين أبي المعالي شعبان بن جمال الدين حسين بن الناصر محمد بن قلاوون الذى تقلد ولاية مصر وتوابعها عام ٧٦٤ هـ وعمره في ذلك الوقت عشر سنوات ، وقد كان الأمير يلبغا الأتابك هو الذي بيده أمور الدولة وفي المصادر التاريخية والسير أن أبناء الناصر الثانية وأحفاده الأربعة من سنة ٧٤١ هـ إلى سنة ٧٨٤ هـ كانوا بعيدين كل البعد عن الترف والبذخ .

(٣١) نائبها في ذلك الوقت هو خليل بن عرام وكان قد توجه إلى الحج واستناب عنه الأمير جنغرا أحد أمراء العشرات .

(٣٢) دخلوا الأسكندرية يوم ١١ محرم ومكثوا ثمانية أيام وكانوا عدة طوائف ما بين بنادقة وجنوية وأهل رودس وقبرس وفرنسيس .

ثم إنه لعنه الله خدعته نفسه اللعينة ، ومنته أمنيته المهينة ، واغتر بما أصاب من الإسكندرية واعتقد أن كل بيضاء شحمة ، وأن كل حمراء لحمة ، فطرق ثغر أطرابلس[٢٠] المحروس (في أوائل سنة تسع وستين وسبعمائة) وقد كان بعض منافقيها ممن هو على دينه وهو يخادع المسلمين أعلمه أن نائبها[٣٣] ليس بها ، وقد عُزل منها أيضا حاجبها ، وتفرق جيشها في انفسهم ، ولم يبق منهم إلاالرسم ، فأقبل المدبر في شواني مملوءة بكل لعين نصراني ، تزيد عدتها على المائة والثلاثين فلعنة الله على من فيها أجمعين ، فنازلوها فلم يكن بها من المقاتلة من يحول بينهم وبين مقاصدهم التي حاولوها ، فنفضوا إليها من المراكب ، وصارت جماعتهم فيها مواكب ، فعاثوا فيها فسادا ، ولكن لم يقضوا منها مرادا . فبينما هم فيها ، وقد حلت الكلاب في خيس الأسود ، وتبدلت الوجوه المباركة النيرة بالوجوه الملعونة السود ، إذ جاءهم جنود من التراكمين متراكمين ، كانوا لجيش الإسلام الكمين ، فحملوا عليهم مكبرين ، وعلت الأصوات ، وارتفعت الدعوات ، إلى رب الأرض والسموات ، فنزل النصر ، وانخفض الكفر ، وانقلبوا هاربين ، وخرجوا منها صاغرين خاسئين خاسرين وقتل منهم المسلمون خلقاً لا يحصون ، ولله الحمد والمنة .

فصل

ثم بعد ما حل بهم هذا كله من الخزى والنكال ، غرتهم أمانيهم الكاذبة الخائبة والآمال ، فساروا بمن بقى معهم من الجيش المخذول ، والجمع المرذول ، حتى نازلوا مدينة إياس[٣٤] وقد حال بينهم وبين ما حاولوه منها اليأس ، فقيض الله تعالى مرور بعض أمراء الإسلام هنالك ، ولم يكن عنده علم بذلك ـ وهو المقر الشريف السيفي منجك المشير بتأليفه ، أعز الله أنصاره ، ووكل بقهر العدي مقامه وأسفاره ـ فعطف عليها ، فلما وصل إليها ، إذا الشوانى المشحونة بالمقاتلة الملعونة قد احدقت بها من ناحية بحرها ، فمانعهم أعز الله أنصاره عن الوصول إلى

---

(٣٣) هو الأمير منجك وقد استقر فى نيابتها فى المحرم سنة ٧٦٩ هـ وقدم الإفرنج إليها فى أول صفر تحت قيادة متملك قبرس ورودس والاستبسار .

(٣٤)إياس : مدينة على الشاطىء الجنوبى لأسمها الصغرى كانت الميناء الرئيسى لمملكة أرمينية الصغرى .

السواحل فلم يقدر على ذلك منهم فارس ولا راجل ، هذا وليس معه من مماليكه سوى خمسة وثلاثين ، وجماعة دون المائتين من المتراكمين ، حسبما أخبرنى به أدام الله عافيته ، وأحسن عاقبته ، آمين ، ونادى في البلد أن ترفع النساء والذرية ، إلى القلعة المنصورة المحمية ، فعدل جمع الفرنج المخذول عن مواجهة المقر المشار إلى موضع آخر ، فنفضوا إلى الساحل حيث لا يصل إليهم ركابه الشريف ، ثم ساروا إلى ربض البلد[٣٦] وحاصروا القلعة فواقعهم ، أعز الله أنصاره ، فكسرهم فى أماكن متعددة ، وما زال مصاولاً لهم مصابراً ، مرابطاً مثاغراً ، حتى قدم الجيش الحلبى يقدمه المقر العالى السيفي منكل في خاصة مماليكه ، وأخبرني أنه لما حالما وصل إليهم وجدهم ثلاثة كراديس سوداء والصلبان مرفوعة على رءوسهم لعنهم الله ، وكـردوسا آخـر دونهم فى السواد ، وإذا هو من التراكمين المنافقين الذين يخفون الشرك ، يقاتلون المسلمين معهم ، فلما تحققوا قدوم المقر السيفي منكل بغا ، تحيزت الكراديس الأربعة المذكورة المخذولة وصارت كردوساً واحداً ، واجتمع المقر الشريف السيفي منجك إلى المقر الشريف السيفى منكل بغا فأخبرني المقر السيفي منكل بغا أن الفرنج رشقوهم بالنبال إلى أن توارى وجه الأرض بها فلا يرى منها شيء لكثرتها ، وكثرت الجروح من تلك الجروح في الجيش الإسلامي ، ورشقهم المسلمون بالنبال رشقا منكياً حتى إن من الأمراء المسلمين من كان يرمي الفرنجيّ ، فيصيب بركبته وعليها غلاف من حديد ، فينتظم الغلاف مع الركبة بسهمه ، ثم انهزم الفرنج من بين أيديهم فلبسوا تلا هناك ثم رشقوا المسلمين بالحجارة أعظم مما رشقوهم بالنبال أولا ، ثم أخذ عليهم المقر السيفى منكل بغا طريقهم إلى مراكبهم وقتل شيئا كثيرا من خيولهم ففروا إلى البحر لا يلوى أحد منهم على أحد ، فرشقهم المسلمون رشقاً عظيما بالنبال وقتلوا منهم خلقاً عظيماً ، وغرق منهم أكثر ممن قتل ، وقتل (صاحب جزيرة رودس) وجرح (صاحب قبرس) جرحاً منكياً وهلك منهم خلق كثير ، ورجعوا خائبين خاسرين أعظم خيبة من خيبتهم في أطرابلس ﴿ وردّ

---

(٣٥) الشوانى : هى المراكب المعدة للجهاد فى البحر .

(٣٦) بالتحريك وأخره ضاد معجمة وهو في الأصل حريم الشيء . قال بعضهم أساس المدينة والبناء .

(٣٧) هو نائب حلب .

الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ﴾* وكانوا حسبوا أن بجمعهم الكثير يحصلون على شيء ، والقدر يتلو عليهم مما هو محكم في كتاب الله العزيز المقتدر قوله تعالى : ﴿ سيُهزَمُ الجمع ويولّون الدُّبُر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾** وراموا أنهم يحصلون على شيء من تلك المعاقل والحصون ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون وهذه عوائد نصر الله جميع المسلمين وإن كانوا قليلا ، وماهو بأول موطن نصر الله فيه المسلمين مع قلتهم ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وأنىّ لهم ذلك وفي كل ثغر من ثغور السواحل الإسلامية من الجيوش السلطانية والرجال المحمدية ، الذين قد أخلص كل منهم النية ، لرب البرية ، أم تحملهم على نصر دين الله نفوسهم الأبية ، وصحبتهم ما أمرهم به رب الأرباب ، على لسان سيد الأولين والآخرين من الأعاجم والأعراب ، من إعداد العدد التى أصنافها الرماح الخطية[٣٨] والسيوف الهندية ، والسهام المفوقه عن القسى العربية ـ إلى غير ذلك مما يطول وصفه ويقرب به إلى العدو حتفه ـ والعزيمة الصارمة وهى كفاية ، والنية الصادقة التي أعلى منازل الجنة لها نهاية .

كانت بلاد الشام بكمالها ، وبلاد الجزيرة وبلاد الروم إلى القسطنطينية ، وتلك التخوم وسائر بلاد البحور كجزيرة قبرص ورودس ، وجزيرة الأندلس والجزيرة الخضراء[٣٩] ، كلها مشحونة قبل الإسلام بالنصارى على اختلاف أجناسهم وأصنافهم ومذاهبهم من الملكية واليعقوبية والنسطورية ، فلما جاء الإسلام على يدي سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، فأدى الرسالة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده ، ومهد الله على يديه جزيرة العرب بكاملها ، وبلاد اليمن والبحرين وما قارب تلك النواحي ، وركب في ثلاثين ألفا من أصحابه لدخول الشام ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[٤٠] ولقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله

(*) ٢٥ م الأحزاب ٣٣ (**) ٤٥ القمر ٥٤

(٣٨) هو موضع باليمامة وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به .

(٣٩) مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة وأعمالها متصلة بأعمال شذونة وقبلى قرطبه .

(٤٠) سورة التوبة : ١٢٣ .

ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[٤١] .

فسار عليه السلام حتى وصل إلى تبوك[٤٢] من أرض الشام ومن عزمه عليه السلام أن يقاتل هرقل الذى هو يومئذ قيصر الشام ـ أى ملكها ـ فوجد الزمان حراً شديداً مع قلة مامعهم من الزاد والظهر[٤٣] فرجع عامه ذلك من هنالك ، فحج عليه السلام حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ، ثم عاد من مكة إلى المدينة فاختار الله له ما عنده من المنزلة العالية الرفيعة التي هي أعلى منازل الجنة ، وهى المسماة بالوسيلة .

وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

فقام بالأمر من بعده خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجهز الجيوش الإسلامية إلى العراق لقتال كسرى ملك الفرس مع خالد بن الوليد ، وإلى الشام لقتال قيصر ملك النصارى بها صُحْبَةَ الأمراء الأربعة وهم : أمير الأمراء أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، ويزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ، وهو أول أمير ناب بدمشق ، والأمير الثالث شرحبيل بن حسنة ، والأمير الرابع عمرو بن العاص السهمي ويسمون أمراء الأرباع لأن كل واحد منهم معه ربع الجيش .

فلما سمع هرقل ملك الشام بقدومهم قال : (والله لأبعثن إليهم جيشاً ينسي أبا بكر صلاته) فلما بلغ ذلك أبا بكر قال : (والله لأبعثن إليه رجالا يحبون الموت كما تحب النصارى الخمر) .

فسار الأمراء الأربعة حتى دخلوا الشام ، فأول مدينة حاصروها مدينة

---

(٤١) سورة التوبة : ٢٩ .

(٤٢) بالفتح ثم الضم وواو ساكنة وكان موضع بين وادى القرى والشام .

(٤٣) ما يركب من إبل وغيرها .

بصرى[٤٤] فكتب الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد ـ وقد وصل في الفتوحات التى بالعراق إلى مدينة (الأنبار)[٤٥]ـ (أن استخلف على الجيش الذى معك أميراً ، وأقدم أنت ببعض الجيش إلى الشام وكن أنت الأمير عليهم) فاخترق المَهَامِهَ والقِفار ما بين العراق إلى بيان الشام في أربعة أيام ، وأصبح في اليوم الخامس على ثنية العقاب شرقي دمشق ، فنصب عليها راية رسول الله ﷺ السوداء المسماة بالعقاب ، فمن ثم سميت هذه الثنية ثنية العقاب ، ثم نزل فأغار على سرح النصارى وكان يوم عيد لهم ، فسبى وأخذ أموالا كثيرة ، ثم سار إلى الأمراء إلى بصرى ، فحالما وصل إليها فتحها صالحاً ، وأخذ الجيوش وجاء إلى دمشق وحاصرها فكان موقفه ومقامه عند الباب الشرقي منها ، ووقف أبو عبيدة عند باب الجابية الكبير الغربي ، ويزيد بن أبي سفيان عند باب الجابية الصغير ، وإليه باب كيسان أيضا ، ففتح خالد رضي الله عنه البلد من الباب الشرق قهراً ، فذهبت النصارى إلى أبي عبيدة وأخذوا منه الأمان خديعة منهم ومكراً ، فجعلت الصحابة البلد نصفين نصفاً صلحاً ونصفاً عنوة ، ثم فتحوا بقية الشام : حمص ، وحماة ، وحلب ، وقنسرين ، والعواصم ، وأنطاكية ، وطرابلس ، وجميع السواحل .

وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة سبع عشرة ففتح بيت المقدس ، وفتح عمرو بن العاص رضي الله عنه جميع بلاد مصر في سنة عشرين من الهجرة ، وولى معاوية رضي الله عنه إمرة الشام بكماله بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان المذكور في الدولة العمرية وفتح معاوية رضي الله عنه جزيرة قبرص سنة سبع وعشرين من الهجرة في الدولة العثمانية[٤٦] وغنم منها أموالا جزيلة وسبايا كثيرة فقسمها بين المسلمين على الوجه الشرعى واستمرت الجزيرة المذكورة مقهورة بعز الإسلام نحواً من ثلاثمائة سنة يحملون الجزية والخراج إلى المسلمين ، ويؤخذ من تجاراتهم العشر .

وبعث معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد في جيش كثيف سنة ثنتين وخمسين من

---

(٤٤) في موضعين بالضم ، والقصر إحداهما بالشام في أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا .

(٤٥) بفتح أوله مدينة قرب بلخ وهى قصبة ناحية جوزجان .

(٤٦) نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

الهجرة فحاصروا مدينة القسطنطينية حصارا عظيما ، وقتلوا خلقاً كثيراً من النصارى فكانوا أول جيش طرقها من المسلمين .

وفتح المسلمون في أيام الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق وفي أيام أخيه سليمان جميع جزيرة الأندلس ، والجزيرة الخضراء غربيها وجميع بلاد المغرب إلى ساحل المحيط الغربي .

واستوثقت الممالك الإسلامية على جميع البلاد شرقا وغربا وبعداً وقرباً ، كما قال رسول الله ﷺ « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لي منها » رواه مسلم(٤٧)وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذى نفسى بيده لتُنفَقَنّ كنوزهما في سبيل الله »(٤٨) .

واستقرت هذه الممالك في أيدى المسلمين إلى حدود الخمسمائة من الهجرة ، فلما كان في سنة بضع وتسعين وأربعمائة(٤٩) وقد ضعفت الدول الشامية والمصرية فى الدولة الفاطمية تدنت الفرنج لعنهم الله إلى بعض السواحل فملكوها ، فمن ذلك مدينة أنطاكية ، وأطرابلس ، وتلك السواحل المتاخمة للبحر ، ودخل ملكهم كندهرى(٥٠) لعنهم الله فأخذ بيت المقدس المطهر يوم الجمعة(٥١) ، فجمع ممن فيه من العباد والزهاد والقاطنين به من المسلمين نحواً من سبعين ألفاً فقتلهم في صبيحة واحدة ، رحمهم الله ولعن كندهري وقومه . واستمر بيت المقدس في أيديهم نحواً من تسعين سنة حتى انتزعه من أيديهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، واسترجع ما كانوا استحوذوا عليه من بلاد غزة ، ونابلس ، وعجلون ، والغور ، وبلاد الكرك ،

---

(٤٧) رواه مسلم (٨/ ١٧١) . ورواه أيضا الترمذى (٦/ ٣٣٩ ، ٣٤٠) . ورواه الامام أحمد فى مسنده (٥/ ٢٧٨ ، ٢٨٤) .

(٤٨) رواه البخارى (٧/ ١٦٠) . ورواه مسلم (٤/ ٢٢٣٧) .

(٤٩) أيام الآمر باحكام الله بن المستعلي بالله وكان صغيرا وكان وصيه هو الأفضل بن بدر الدين الجمالي الملقب بأمير الجيوش .

(٥٠) وهو المعروف بجود مرى .

(٥١) فى سنة ٤٩٢ هـ أيام المستعلي بالله ووزيره الأفضل .

والشوبك ، وما إليه من البلاد واسترد منهم صفد وأكثر السواحل البحرية إلا عكا ، وصور ، فاقتدى به الملوك بعده ، فاستنقذوا منهم بقية السواحل ، حتى آخرها عكا فتحها الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون رحمه الله وذلك في سنة ستين وستمائة ، فلم يبق للفرنج في السواحل جليل ولا حقير ولا مقدار قطمير ، ولا فتيل ولا نقير ، ولله الحمد والمنة ، وبه التأييد والعصمة .

فزعم الذين كفروا من هؤلاء الفرنج ـ لعنهم الله بما حدثتهم به أمانيهم الكاذبة ـ أنهم يسترجعون ما كان بأيدي أسلافهم لعنهم الله من هذه السواحل المذكورة ، وهيهات ، كذبت والله الظنون ، وخزي الكافرون ، والله حائل بينهم وبين ما يشتهون ، ليست هذه الدول كمن تقدم ذكرهم من الدول الضعيفة التي استحوذوا في أيامها على ما ذكرناه من السواحل ، هؤلاء أكثر عدد وعدداً ، وأعز ملكا وأشد بأساً وتنكيلا .

وزعم صاحب قبرس لعنه الله أنه سيعود ملك بيت المقدس إليهم ، ولا سبيل لهم إلى ذلك مرة أخرى أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وهذه بشارة أبشر بها جميع المؤمنين لشيء استنبطته من الكتاب العزيز المبين ، وسنة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين :

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول وليتبروا ما علوا تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾[٥٢] فذكر تبارك وتعالى أنه سلط على بني إسرائيل بذنوبهم عدوا من سواهم فقتل من المقاتلة خلقاً كثيراً ، وسبى من الذرية جماً غفيراً ، وهذا المسلط عليهم ، فيما ذكره أكثر المفسرين بختنصر صاحب

---

(٥٢) سورة الإسراء : ٤ ـ ٨ .

العراق ، وقيل نائبه . هذا في المرة الأولى . كما قال تعالى ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ﴾[٥٣] .

ثم ذكر تعالى أن في المرة الثانية أراد الأعداء أن يفعلوا معهم كما فعلوه أول مرة ، فذكر تعالى أنه رحمهم ولم يسلط عليهم عدوهم ، بل أجارهم من ذلك وأدالهم على أعدائهم .

فنحن أيضا أيتها الأمة المحمدية قد ابتلينا في بيت المقدس باستحواذ الأعداء عليه في حدود الخمسمائة سنة وأنه استمر في أيديهم تسعين سنة حتى أنقذه الله من أيديهم على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف كما تقدم فليس لهم إليه بعد ذلك سبيل إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان ، لأن هذه الأمة أحق بكل خير وعِزٍّ ونصر من جميع الأمم المتقدمة لشرفها بشرف نبيها على سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذه الأمة أكثر عدداً وعُدُداً وأعزُّ جنداً وأعظم مملكة وأوسع بلاداً ممن تقدمهم بكثير .

وأما السنة فقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان[٥٤]وغيره رضي الله عنهم في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان من السماء على المنارة الشرقية بدمشق وهي محاصرة بجيوش الدجال وقت صلاة الفجر وقد أقيمت الصلاة ، فيقول له إمام المسلمين « تقدم يا روح الله » فيقول (لا ، إنما أقيمت الصلاة لك) فيصلي وراء إمام المسلمين تكرمة الله هذه الأمة ، ثم يكون عيسى عليه السلام فى هذه الأمة بمنزلة الإمام الأعظم .

كما ثبت فى الصحيحين[٥٥] : « لينزلن فيكم عيسى بن مريم إماماً عادلا وحكما مقسطا ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام » بمعنى أنه لا يقبل من غير مسلم جزية ، ولا يقبل منه إلا الإسلام أو السيف ، وهذا إخبار رسول الله ﷺ عما يفعله عيسى عليه السلام وتشريع وتسويغ .

---

(٥٣) سورة الإسراء : ٥ .

(٥٤) انظر صحيح مسلم (٨/١٩٦ ــ ١٩٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٥٥) صحيح البخارى (٣/١٣٦) باب المظالم ، وصحيح مسلم (١/٩٣ ، ٩٤) . ولفظ البخارى : « لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » .

ثم ينهض عيسى عليه السلام بمن معه من المسلمين نحو الدجال فيفر منه ، فيتبعه حتى يدركه بباب لد[٥٦] فيقتله بحربته كما بسطنا ذلك في كتاب الفتن والملاحم .

والمقصود أنه قال في حديث النواس بن سمعان : « فيوحى الله إلى عيسى بن مريم إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحصن عبادي في جبل الخمر – يعنى جبل بيت المقدس – فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله فيهم فيصبحون فرسى كموت رجل واحد » الحديث .

فهذا دليل على بقاء بيت المقدس في أيدى المسلمين إلى ذلك الحين ليكون موئلا ومعقلا لهم عند خروج يأجوج ومأجوج ولله الحمد والمنة .

وكذلك فيما ذكرنا دليل على أن مدينة دمشق لا تزال دار إيمان وأمان وقرار حتى ينزل عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه فيها على منارتها الشرقية البيضاء ، المعمورة بتوحيد الله ، الشاهقة المنيرة الزهراء ، وذلك بعد فتح المسلمين مدينة القسطنطينية التي هى أعظم معاقل الروم وقرار ملكهم الأكبر ، بعد ملاحم كثير بين المسلمين وبين بنى الأصفر ، كما هو مبسوط في غير ما حديث عن أفضل من سبح الله وحمده وهلل وكبر ، محمد بن عبد الله الصادق المصدوق رسول الله إلى الأسود والأحمر ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى سائر الصالحين ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(٥٦) بالضم والتشديد وهو جمع ألد ، والألد الشديد الخصومة ، قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين ببابها يدرك عيسى بن مريم الدجال فيقتله .

obeikandl.com

مصـــادر ومراجـــع التحقيـــق

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة — لسان الدين بن الخطيب
تحقيق محمد عبد الله عنان
الخانجى ..القاهرة
١٩٧٥ م

(٢) أساس البلاغة — للزمخشرى دار الكتب
المصرية

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة — لابن الأثير دار الشعب
ـ القاهرة
١٩٧٠ م ـ ١٩٧٤ م

(٤) الأعلام — الزركلى القاهرة
١٩٥٤ م ـ ١٩٥٩ م

(٥) انباء الغمر بأنباء العمر — لابن حجر العسقلانى
تحقيق الدكتور
حسن حبشى المجلس
الاعلى للشئون الإسلامية
القاهرة
١٩٦٩ م/١٣٨٩ هـ

(٦) الانساب — للسمعانى نشرة مصوراً
مرجليوث ـــ ليدن لندن
١٩١٢ م

(٧) البداية والنهاية — لابن كثير القاهرة
١٣٤٨ هـ

(٨) البدر الطالع — للشوكانى القاهرة
١٣٤٧ هـ

obeikandl.com

(٩) تاريخ الإسلام	للذهبى القاهرة ١٩٧٦ م
(١٠) تاريخ الأيوبيين والمماليك	الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٤ م
(١١) تاريخ بغداد	للخطيب البغدادى الخانجى ـ القاهرة ١٣٤٩ هـ
(١٢) تاريخ الحملات الصليبية	للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ــ النهضة العربية ١٩٦٠م مصر ــ ١٢٨٥
(١٣) تاريخ ابن الوردى	مصر ـ ١٢٨٥ هـ
(١٤) تبصير المنتبه	لابن حجر العسقلانى تحقيق على محمد البجاوى الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ م
(١٥) تبيين كذب المفترى	لابن عساكر نشره القدسى . دمشق ١٩٢٧ م
(١٦) تذكرة الحفاظ	للذهبى تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى حيدر آباد الدكن ــ الهند ١٣٧٤ هـ
(١٧) تهذيب الاسماء واللغات	للنواوى المنيرية ـ القاهرة

(١٨) تهذيب التهذيب — لابن حجر العسقلانى
تصحيح عن الرحمن بن يحيى المعلمى ـــ حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٧٤ هـ

(١٩) الجامع الصغير — للسيوطى-دار الكتب العربية الكبرى القاهرة ـ ١٣٣٠ هـ

(٢٠) الجواهر المضية — للقرشى حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٣٢ هـ

(٢١) حسن المحاضرة — للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٨ م

(٢٢) حلية الاولياء — للأصبهانى القاهرة ـــ ١٣٥١ هـ

(٢٣) الحملة الصليبية الأولى — الدكتور حسن الحبشى الأنجلو ـــ القاهرة ١٩٥٤ م

(٢٤) خطط المقريزى — بولاق ١٢٥٤ هـ

(٢٥) خلاصة تذهيب الكمال — للخزرجى بيروت ـــ ١٩٧٤ م

(٢٦) الدرر الكامنة — لابن حجر العسقلانى تحقيق محمد سيد جاد حق ـــ دار الكتب الحديثة ١٩٦٦ م

(٢٧) ذيل تذكرة الحفاظ — للسيوطى نشره القدسى ـــ دمشق ١٣٤٧ هـ

obeikandi.com

(٢٨) ذيل الروضتين	لأبى شامـــة القاهرة ١٣٦٦ هـ
(٢٩) ذيل العبر	للذهبى والحسينى تحقيـــق محمـــد رشاد عبد المطلب الكـــويت ١٩٧٠ م
(٣٠) ذيل مرآة الزمان	لليونينى حيـــدر آبـــاد الهنـــد ١٣٧٤ هـ ــ ١٣٧٥ هـ
(٣١) الرسالة المستطرفة	للكتانى دار الفكر بدمشق ١٩٦٤ م
(٣٢) السلوك	**للمقريزى** تحقيق الدكتـــور محمـــد مصطفى زيادة القاهـــرة ١٩٤٧ م
(٣٣) السلطان نور الدين محمود	**الدكتور حسن حبشى** **الأنجلو ــ القاهرة** **١٩٦٠ م**
(٣٤) سير الاعلام النبلاء	للذهبى
(٣٥) سيرة السلطان نور الدين محمود	الدكتور حسين مونس ــ القاهرة ١٩٥٥ م
(٣٦) سيرة الظاهر بيبرس	**الدكتور محمد جمال** الدين سرور ــ القاهـــرة ١٩٥٤ م
(٣٧) سيرة قلاوون (السلطان) الظافر	**الدكتور محمد جمال** الدين سرور ــ القاهـــرة ١٩٥٧ م

obeikandl.com

(٣٨) شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلى نشره القدسى ـ القاهرة ١٣٥٠ هـ
(٣٩)صبح الاعشى	للقلقشندى مصور عن الطبعة الأميرية ١٩٦٣ م
(٤٠) صحيح البخارى	الحلبى القاهرة ١٩٥٣ م تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
(٤١) صحيح مسلم	الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٥م تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
(٤٢)الطالع السعيد	تحقيق سعد محمد حسن الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م
(٤٣) طبقات الشافعية	للسبكى تحقيق محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو القاهرة ١٣٨٣ هـ
(٤٤) طبقات الشيرازى	تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت ١٩٧٨ م
(٤٥) طبقات العبادى	تحقيق غوستا فيتسنام ـ ليدن ١٩٦٤ م
(٤٦) طبقات القراء	لابن الجزرى برجستراسر ١٩٣٣ م ـ ١٩٣٥ م
(٤٧) طبقات القراء	تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٧ م

obeikandl.com

(٤٨) طبقات المفسرين للداودى	تحقيق على محمد عمر وهبه ـ القاهرة ١٩٧٢ م
(٤٩)طبقات المفسرين	للسيوطى تحقيق على محمد عمر وهبه ـ القاهرة ١٩٧٥ م
(٥٠) الفهرست	لابن النديم ـــ بيروت ١٩٨٠ م
(٥١) الكامل فى التاريخ	لابن الأثير دار صادر بيروت ١٩٦٠م
(٥٢) المختصر فى أخبار البشر	لأبى الفدا القاهرة ١٣٢٥ هـ
(٥٣)معجم البلدان	لياقوت الحموى باعتناء وستنفلد ـ طهران ١٩٦٥ م
(٥٤) المماليك والايوبيون	للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ١٩٦٤ م
(٥٥)المنهل الصافى	لابن تغرى بردى دار الكتب المصرية ـ ١٣٤٨ هـ
(٥٦) النجوم الزاهرة	دار الكتب المصرية ١٩٣٢ م
(٥٧) الوافى بالوفيات	للصفدى استانبول ١٩٣١ م

obeikandl.com

الكشـــاف العـــام

١ ـ الاعـــلام

	رقم الصفحة
أبى بن كعب	٣٠
الإمام أحمد	٢٩ ، ٣٠ ، ٣١
اربان الثانى	٥ ، ٦
الأصبهانى	٢٤
أكسيوس كومنينوس	١١ ، ١٣
أم الدرداء	٣٠
أنس بنت مالك	٣١
أنوسنت	١٧ ، ٢٠
اورباتوس	١١
البخارى	٢٨ ، ٣١
برنارد	١٤
بطرس الناسك	١٢
أبو بكر الصديق	٣٦
بولدوين	١٣
بوهيموند	١٣
تانكرد	١٣
الترمذى	٢٩
توما الأكوينى	١٧
ابن تيمية	٢٤ ، ٢٥
جنكيز خان	٢٠
جوهانا	١٧
ابن الحاجب	٢٤
أبو حاتم	٠١
الحاكم بأمر الله	١٠
ابن حبان	٣٠
ابن حبيب	٢٤
ابن حجى	٢٤
الحجار	٢٤
الحسينى	٢٤
خالد بن الوليد	٣٦
ابن خلدون	٢٣
أبو داود	٢٩
الذهبى	٢٤ ، ٢٥
ركن الدين بيبرس	١٩
روبرت غيسكار	١٤
روجر الثانى	١٩
روم لاندو	١
أبى ريحانة	٣٣
ريكاردوس	١١
ريموند دى تولوز	١٥
رامر (همميل)	١٨
السبكى	٢٧
سنجوق	١٢
سلمان الفارسى	٣١
سهل بن سعد الساعدى	٣٠
شارلمان	١١
شرجيل بن حسنة	٣٩
القاضى ابن شهبة	٢٧
صلاح الدين الأيوبى	١٦ ، ١١ ، ٤٠ ، ٤١
صلاح الدين حميل	٤١
طغرلبك	١٢
عبد الملك بن مروان	١١
أبو عبيدة عامر بن الجراح	٣٨
عثمان بن عفان	٣٢
العراقى	٢٦
عقبة بن عامر	٣١ ، ٣٣
عمر بن الخطاب	١٠ ، ٣٩

obeikandl.com

	رقم الصفحة
عمرو بن العاص	٣٨
غريغوريوس	١٣
غودفرى دى بويول	١٥
فردريك بربروسا	١٧ ، ١٩
فردريك هوهنشتاوفن	١٩
فضاله بن عبيد	٣١
فيليب أوغسطس	١٧
القاسم بن عساكر	٢٦
القديس جيروم	٩
القديس ماماس	٩
قطـز	٢١
الملك الكامل	١٩
ابن كثير	٢٦
كسرى	٣٩
الكمال ابن قاضى شهبة	٢٦
كندهرى	٤٠
كونراد	١٦
لويس السابع	١٦
ابن ماجة	٣٢ ، ٣٣
محمد رشيد رضا	٢٧
المزى	٢٦
مسلم	٣١
معاوية	٣٩
ملكشاه	١٢
منجك	٢٨
منكل بغا	٣٦ .
النسائى	٣٣
النواس بن سمعان	٤٣
هارون الرشيد	١١
هرقل	١٠ ، ١٨
أبو هريرة	٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣
هولاكو	٢٠
الوليد بن عبد الملك	٤٠
ياجوج ومأجوج	٤٣
يزيد بن أبى سفيان	٣٩
يزيد بن معاوية	٣٩
يوحنا المعمدان	٩

٢ ـ الأماكـن الجغرافيـة

	رقم الصفحة
أترابة	١٨
أسبانيا	١٤
الاسكندرية	٢١ ، ٣٤ ، ٣٥
آسيا	٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠
أطرابس	١٧ ، ٤٢
أفريقية	٧
المانيا	١٦ ، ١٧
الأنبار	٣٩
الأندلس	٣٧
أنطاكية	١٥ ، ١٧ ، ٢١
انكلترة	١٧
أوربا	٨ ، ١٣
إياس	٣٥
بلاد القفجاق	٢٥
بلاد الكرك	٤٠
بلغار	٢٥
البندقية	١٤ ، ١٨
بيت المقدس	٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
بيزا	١٤
تبوك	٣٨
الجابية	٣٩
الجزيرة الخضراء	٣٧
جنوا	١٤
حلب	١٥ ، ٢١
حماة	٣٩

obeikandl.com

	رقم الصفحة
إيطاليا	١٤
باب كيسان	٣٩
البحر الأحمر	١٨ ، ٢١
بحر الأدرياتيك	١٨
البحر الأسود	١٢
البحر المتوسط	٧ ، ١٤ ، ١٥
البصرة	٢٦
بصرى	٣٩
بغداد	١٢ ، ٢٠
	٢١ ، ٢٥
حمص	٣٩
خراسان	٢٥
خوارزم	٢٥
دمشق	٩ ، ١٥ ، ١٩
	٢١ ، ٢٦ ، ٢٧
	٤٠ ، ٤١
دولة بنى جوجى	٢٥
الرها	١٦
رودس	٣٦
روسيا	٢٥
الزاد	٣٨
زارا	١٨
سورية	١٠ ، ١١ ، ١٦
	١٩ ، ٢١
الشام	٢٨ ، ٣٨
الشرق	٧ ، ٨ ، ٩
	١٤ ، ٢٠
صقلية	١٤ ، ١٩
صور	١٧
الصين	٢٠
طوران	١٩
عجلون	٤٠
العراق	١٦ ، ٢٥
عكا	١٧
عين جالوت	٢١
الغرب	٧ ، ٨
	٩ ، ٢٥

	رقم الصفحة
غزة	١٩
الغور	٤٠
فارس	٢٠ ، ٢٥
الفرات	١٥
فرنسا	١٤ ، ١٦ ، ١٧
فلسطين	٧ ، ١٠ ، ١١
	١٢ ، ١٨
	١٩ ، ٢١
القوقا	١٢
القاهرة	٢٢
قبرص	١٧ ، ٣٦
قبة الصخرة	١١
القدس	١١ ، ١٢ ، ٢١
القرم	٢٥
القسطنطينية	٩ ، ١٠ ، ١٥
	١٨ ، ٢١ ، ٤٠
قنسرين	٣٩
كلير مونت	٧ ، ١٣
كنيسة باب الشهداء	١٠
كولون	١٨
لانغر	٩
ماوراء النهر	٢٥
المدينة	٣٨
مرسيليا	١٨
مشيخة أم الصالح	٢٧
مصر	١٥ ، ١٦ ، ١٨
	١٩ ، ٢٠ ، ٢١
مكة	٣٨
منغولية	٢٠
موريين	٩
نابلس	٤٠
نابولى	١٩
النمسا	١٩
هنغارية	١٨ ، ١٩
وادى الراين	١٤
اليونان	١٩

obeikandl.com

٣ ـ الطوائف والبطون والقبائل

	رقم الصفحة
الأتراك	١٢ ، ١٣
	١٥ ، ٢٠
الأرثوذكس	١٢
الاستبارية	١٧
إسرائيل	١٨
الأسيويون	٢٠
الأصفر (بنو)	٤٣
البيزنطى	١١
(دولة) بنى دوش خان	٢٥
دومينيكنين	٢٠
الروم	٧ ، ١٨
	٤٠ ، ٤١
الزراد شيتون	١١
السلاجقة	١٢ ، ١٣
	١٥ ، ٢٠
الصليبيون	٧ ، ٨ ، ٩
	١٣ ، ١٤ ، ١٥
	١٦ ، ١٧ ، ١٨
	١٩ ، ٢٠
	٤٠ ، ٤١
الطورانيوم	١٩
العباسيون	١٢ ، ٢٠

	رقم الصفحة
العثمانيون	٢١ ، ٤١
العرب	٩
الفاطميون	١٥ ، ١٦ ، ٤٠
الفرس	١٠ ، ٤٠
الفرنج	٨ ، ١٢ ، ١٥
	٣٤ ، ٣٩
	٤٠ ، ٤١
اللاتين	١٢ ، ١٥
المسلمون	٧ ، ١٥ ، ١٧
	١٩ ، ٢٠ ، ٢١
المغول	٨ ، ٢٠ ، ٢١
	٢٢ ، ٢٥
النصارى	٧ ، ٨ ، ٩
	١٠ ، ١١ ، ١٢
	١٣ ، ١٤ ، ١٥
	١٧ ، ١٨ ، ١٩
	٢٠ ، ٢١
	٤٠ ، ٤١
النورمان	٨ ، ١٤
	١٥ ، ٢٠
الهلينية	١١
اليهود	١٠ ، ١١
	١٢ ، ١٥

٤ ـ الآيـــات

	رقم الصفحة
سورة الاسراء	٤١ ، ٤٢
سورة التوبة	٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠
	٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨
سورة الصف	٢٩
سورة محمد	٢٩

obeikandl.com

رقم الصفحة

رقم الصفحة

٥ ـ الأشـــعار

تمر بنا	٢٦	فلا عائد	٢٦

٦ ـ الأحـاديث

إن الله	٤٠	فيوحى الله	٤٣
تعس عبد الدينار	٣٣	كل ميت	٣١
حرس ليلة	٣٣	لأن أرابط	٢٠٠
حرمت النار	٣٣	لرباط يوم	٣٢
رباط يوم	٣٠ ، ٣٢	ليزلن	٤١
رحم الله	٣٣	من رابط	٣٢

٧ ـ الكتب الواردة فى النص

أحكام التنبيه	٢٦	صحيح البخارى	٣٠ ، ٣٣ ، ٤٢
الأصول	٢٦	صحيح ابن حبان	٣٠ ، ٤٢
البداية والنهاية	٢٦	صحيح مسلم	٣١ ، ٤٢
تفسير ابن كثير	٢٦	طبقات الشافعية	٢٦
التكميل	٢٦	طبقات ابن شهبة	٢٧
التنبيه	٢٦	مختصر ابن الحاجب	٢٦
تهذيب الكمال	٢٦	معجم الذهبى	٢٦
شرح قطعة من البخارى	٢٦		

* * *

obeikandl.com

الفهرس العام

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
جدول كرونولوجى	٢٠
من هو ابن كثير	٢٤
سبب تأليف الكتاب	٢٥
آيات فى الحث على الجهاد	٢٥
أحاديث فى الحث على الجهاد	٢٧
فصل : هجوم الفرنجة على ثغر الاسكندرية	٣١
فصل : محاولة استيلاء الفرنجة على مدينة أياس وفشلهم فى ذلك	٣٢
ـ نصر الله المجاهدين المخلصين رغم قتلهم وكثرة عدوهم	٣٤
فصل : مسيرة الجهاد على أرض الشام فى عهد النبوة	٣٥
ـ مسيرة الرسول ﷺ إلى تبوك	٣٥
ـ فتوحات أبى بكر فى العراق والشام	٣٦
ـ فتح بيت المقدس فى عهد عمر بن الخطاب	٣٦
ـ فتح جزيرة قبرص فى عهد عثمان بن عفان	٣٧
ـ محاولة معاوية لفتح القسطنطينية	٣٧
ـ فتح الأندلس وجميع بلاد المغرب أيام الوليد ابن عبد الملك وأخيه سليمان	٣٨
ـ استيلاء الفرنجة على بعض السواحل الإسلامية لما ضعفت الدولة الشامية والمصرية	٣٨
ـ انتزاع بيت المقدس من الصليبين على يد صلاح الدين الأيوبى ومايله من السواحل	٣٩

obeikandl.com

الموضـوع | رقم الصفحة

- تأييد الله للأمة المحمدية والبشرى ببقاء القدس فى يدها ٣٨
مصادر ومراجع التحقيق ٤٣
الكشاف العام ٤٩
فهرس الموضوعات ٥٤

* * *

obeikandl.com

رقم الإيداع ١٠١٧٢ لسنة ١٩٩٢

oberkandl.com